الرسالة

(أعمال الرسل ١١:١٩–٣٠)

في تلك الأيام لمَّا تبدَّد الرسلُ من أجل الضيق الذي حصلَ بسببِ استِفانُسَ اجتازوا إلى فينيقيةَ وقُبرسَ وأنطاكيةَ وهم لا يكلِّمونَ أحداً بالكلمةِ إلَّا اليهودَ فقط* ولكنَّ قوماً منهم كانوا قُبرُسيين وقَيْروانيين. فهؤلاء لَما دخلوا أنطاكيةَ أخذوا يُكلِّمونَ اليونانيينَ مُبشِّرينَ بالربِّ يسوع* وكانت يدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورَجعوا إلى الرب* فبلغَ خبُر ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية* فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ اللهِ فرحَ ووعظهم كلَّهم بأن يثبُتوا في الربِّ بعزيمةِ القلب* لأنَّه كان رجلاً صالحاً ممتلِئاً من الروحِ القدسِ والإيمان. وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ* ثم خرج برنابا إلى طرسوسَ في طلبِ شاول. ولمَّا وجده أتى به إلى أنطاكية* وتردَّدا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلَّما جمعاً كثيراً ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في أنطاكيةَ أولاً* وفي تلك الأيام انحدر من أورشليم أنبياءُ إلى أنطاكية* فقامَ واحدٌ منهم اسمه أغابُوسُ

إنجيل يوحنا

يُقرأ الإنجيل الرابع في الكنيسة الأرثوذكسية بدءًا من خدمة قداس القيامة في أحد الفصح وحتى عيد العنصرة، في كل السبوت والآحاد وفي كل أيام الأسبوع. وقد حدّدت الكنيسة منذ القرون الأولى قراءة إنجيل يوحنا ابتداءً من أحد الفصح، لكي يتمكّن المؤمنون الجدد، الذين اعتمدوا في سبت النور، من الاستنارة بالسمو اللاهوتي الذي في الإنجيل الرابع.

العدد ٢٢ / ٢٠١٦

الأحد ٢٩ أيار

أحد السامرية

تذكار الشهيدة ثاودوسية

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

يصف التقليد الكنسي القديم إنجيل يوحنا بأنه «الإنجيل الروحي». عندما يقرأ المؤمن إنجيل يوحنا بعد الأناجيل الإزائية يشعر بأنه يغادر الأزقّة الشعبية والساحات المكتظّة حيث يناقش الرب يسوع الشعب، والكتبة، والفريسيين... لكي يدخل هيكلًا مهيبًا، يعظ فيه السيّدُ المؤمنين بوداعة عن محبة الله للعالم، وعن الإيمان بذاك الذي أرسله اللهُ الآب لكي يخلّص العالم من الموت ويهبه الحياة، وعن الرجاء بالمعزّي الآخر «روح الحق الذي من الآب ينبثق» (يو ١٥: ٢٦).

الإنجيل الرابع ليس مجرّد سرد لأحداث من حياة الرب يسوع، وإنما شهادة الكنيسة المؤمنة بالمسيح في أواخر القرن الأول الميلادي، عندما كُتب الإنجيل. الرسول يوحنا لا يتكلّم عن نفسه فقط، كفرد مستقل، وإنما كممثل للكنيسة، ناشرًا إيمانها في كل مكان. لذلك كثيرًا ما يَسْتَبدِلُ صيغة المفرد في النص بصيغة الجمع (يو ١:١٤، ١:١٦، ٣:١١، ٢١:٢٤).

أما كون الإنجيل الرابع عملًا ليوحنا تلميذ الرب فهو تقليدٌ ثابتٌ في الكنيسة بدءًا من القرن الثاني. القديس إيريناوس يؤكّد نسبة كتابة الإنجيل إلى يوحنا إذ يقول: «ثم يوحنّا، تلميذ الرب والمتكئ على صدره، هو نفسه أخرج إنجيله، حين كان يعيش في أفسس في آسيا». وإقليمس الاسكندري يصف الإنجيل الرابع بـ«الروحي» ويلاحظ ما يلي: «وأما يوحنا، إذ شعر أخيرًا أن الجسديات واضحة في الأناجيل قام بشرحها، كاتباً إنجيله الروحي حاملًا للروح الإلهي».

طبعًا لا يذكر الكاتبُ اسمه أبدًا في الإنجيل، إلا أنه يعطي تلميحاتٍ عن هويته. فلا يبدو مجرد شاهد عيان للأحداث التي يعرضها وإنما عارفًا

دقيقًا للتفاصيل الهامة أو حتى العرضية من حياة الرسل الاثني عشر، والعلاقات فيما بينهم، والوقت المحدد الذي حصلت فيه بعض الأحداث... كما أنه كان على علمٍ بالعلاقات الخاصة التي كانت تربط بين الرب يسوع وأشخاص خارج دائرة التلاميذ الاثني عشر، وبتفاصيلٍ من حياة الرب يسوع الشخصيةً الخاصة (تعب، إنفعال، دموع...). كل هذا يشهد بأن كاتب الإنجيل ينتمي إلى دائرة تلاميذ الرب يسوع المقرّبين جدًّا.

للإنجيل الرابع طابعٌ واضحٌ مميز من بدايته وحتى النهاية. إنه عمل شخصيةٍ ذات سلطة عظيمة وأصالة لا شكَّ فيهما، إنه يوحنّا «التلميذُ الذي كان يسوع يُحبُّهُ». هذا، ويلاحظ القارئ على مدى إنجيل يوحنا حضور الكنيسة، التي تشهد لهذا التلميذ وتعبّر عن إيمانها بكل ما يسلّمها إياه.

بالنسبة إلى مكان كتابة الإنجيل، يتفق كلّ من التقليد القديم والبحث المعاصر، على حد سواء، على أن يوحنا دوّن إنجيله في أفسس في أواخر القرن الأول الميلادي، على الرغم من بعض الآراء الفردية التي تفترض أن كتابة الإنجيل قد تمّت في أنطاكية سورية، أو في مكان غير معروف في سورية. أما القلّة التي ترى أن الإنجيل كُتب أولاً بالآرامية وتُرجم لاحقًا إلى اليونانية فهي تفترض أن كتابته قد تمت في فلسطين بين عامي ٤٠–٥٠. لكن الأكثرية، كما قلنا، تقرّ بأن مكان الكتابة هو أفسس.

أما الهدف الذي كُتب من أجله الإنجيل، كما يُشير الإنجيلي نفسُه فهو: «لكي تؤمنُوا أنَّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمَنتم حياةٌ باسمه» (٢٠: ٣١).

ما لا شك فيه أن الإنجيلي يوحنا، رغم كتابة إنجيله وفق خطّة مختلفة تمامًا عن الإنجيليين متى ومرقس ولوقا، يعطينا بخطوط عامة رسالةَ الكنيسةِ ذاتها عن شخص المسيح وعمله التي يقدمها لنا الإنجيليون الثلاثة الأوائل: بالتعليم والآيات يعلن المسيح بدء حياةٍ جديدةٍ للبشرية.

تعود الأهمية اللاهوتية للإنجيل الرابع إلى الكرازة بألوهية المسيح منذ الآية الأولى. يبدأ هذا الإنجيل بتسبيح الكلمة الكائن قبل الدهور، الذي «صار جسدًا وحلّ بيننا». وهكذا يتعرّف المؤمنون على «مجده»، الذي بلغ ذروة استعلانه على الصليب، وفي القيامة والصعود إلى الله الآب.

يشهد إنجيل يوحنا بأن يسوع المسيح، الذي يخبر عنه الرسل وتكرز به الكنيسة، ليس فقط المسّيا بالمعنى اليهودي، وليس مجرد نبي أو معلّم للأخلاق، إنما هو الكلمة المتجسّد. إنه ابن الله الوحيد ونور العالم. «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يو١: ٤ – ٥). بالإيمان به ينال البشر حياة أبدية. «وهذه هي الحياةُ الأبديَّةُ: أنْ يَعْرِفُوكَ أنت الإله الحقيقيَّ وحدكَ ويسوعَ المسيحَ الذي أَرْسَلْتَهُ» (يو ١٧: ٣).

إن تجسّدَ الكلمة يشكّل حدثًا مصيريًّاً في العلاقات بين الله والعالم. لهذا، صحيحٌ جدًّا أن الآباء القديسين وتقليد الكنيسة أوْلَوا دائمًا اهتمامًا خاصًا للاهوت تجسّد الابن، ما سوَّغ لبعض اللاهوتيين الأجانب أن يصفوا الكنيسة الأرثوذكسيّة باسم «كنيسة الإنجيلي يوحنا».

فأنبأ بالروح أن ستكون مجاعةٌ عظيمةٌ على جميعِ المسكونة. وقد وقع ذلك في أيام كلوديوس قيصر* فحَتَمَ التلاميذُ بحسَبِ ما يتيسَّرُ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُرسِلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكِنين في أورشليم* ففعلوا ذلك وبعثوا إلى الشيوخ على أيدي برنابا وشاول.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥–٤٢)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ من السامِرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضَيْعَةِ التي اعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِه* وكان هناك عيُن يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العين وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامِرَةِ لِتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَبَ* فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيف تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومن الذي قال لكِ أعْطيني لأشرَب لطَلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقة. فمِن أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظَمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئر ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطَش أيضاً. وأمَّا مَن يشربُ من الماءِ الذي أنا

أُعطيهِ له فلن يعطَش إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالتْ إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولِكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لكِ خمسةُ رِجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت له المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبلِ. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنَّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآب* أنتم تسجُدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآب بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنَّما يطلُبُ الساجدين له مثلَ هؤلاء* اللهُ روحٌ. والذين يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مَسِيَّا الذي يُقالُ له المسيحُ ياتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخبِرُنا بكلِّ شيء* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معَك هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلُبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها* فترَكتِ المرأةُ جرَّتَها ومضتْ إلى المدينةِ

نحن والسامريّة

لم يقم الربّ يسوع بتعليم الجموع، على مثال «العظة على الجبل»، لكنّه أمضى وقتًا مع أشخاص على انفراد، على مثال نيقوديموس، والمرأة السامريّة التي نعيّد لها اليوم.

أتى الربّ وتلاميذه إلى مدينة سوخار في السامرة، الواقعة بالقرب من جبل جريزيم، حوالى الأربعين ميلًا شرق أورشليم، وتوقّفوا عند بئر يعقوب، وهو مكان يكرّمه اليهود والمسيحيّون حتّى يومنا هذا لأنّ مَن أنشأ تلك البئر كان يعقوب، أحد أجداد العهد القديم. لقد تصدّرت هذه البئر نشرات الأخبار في ثمانينات القرن الماضي عندما اقتحم بعض اليهود الغيارى الكنيسة الأرثوذكسيّة الموجودة في ذلك الموقع وقتلوا الراهب فيليمون الذي كان يحرسها، وهو اليوم شهيد جديد في الكنيسة يعيَّد له في التاسع والعشرين من تشرين الثاني.

كانت الظهيرة قد حلّت، فتعب المخلّص بطبيعته البشريّة وجاع وعطش فجلس عند البئر منتظرًا تلاميذه الذين «كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً». حضرت في تلك الأثناء إمرأة لتستقي ماءً، فطلب منها الربّ أن تسقيه. هنا ثمّة نقطتان مهمّتان: أوّلًا، لدينا امرأة من السامرة، والسامريّون كانوا جماعة يعتبرهم اليهود هراطقة. في الواقع، كانت هناك عبارة مشهورة عند اليهود تقول: «أتمنّى ألّا يقع نظري أبدًا على سامريّ!»، حتّى إنّ اليهود المتشدّدين كانوا يغمضون أعينهم عندما يقترب منهم سامريٌّ. ثانيًا، لا يمكن لرجل يهوديّ متديّن أن يتحدّث مع امرأة علانيةً، حتّى ولو كانت من أقربائه. وكما هو معروف حتّى اليوم، فإنّ الرجل اليهوديّ المتديّن يبدأ نهاره بصلاة يشكر اللهَ فيها على أنّه لم يخلقه إمرأةً.

إذًا، نجد هنا المسيح، ابن الله، يضرب عرض الحائط بقانونين من القوانين المُلزِمة لليهود. قالت السامرية المدعوّة فوتيني: «كيف تطلب منّي لتشرب، وأنتَ يهوديّ، وأنا امرأة سامريّة؟»، فأجابها هو: «لو كنت تعلمين عطيَّة الله، ومن هو الذي يقول لك أَعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا».

يعني الربّ بعبارة «ماءً حيًّا» الماء الذي يمنح الحياة، وهناك الكثير وراء تلك العبارة. أوّلًا، يتكلّم ربّنا على «عطيّة»، أي على هديّة مجّانيّة، وهي أمر لا يمكن شراؤه. ثمّ يوضح أنّه هو نفسه الوحيد الذي يمكنه منح تلك العطيّة، التي هي الحياة، أي الحياة الأبديّة والاتّحاد مع الله خصوصًا لأولئك المائتين في الخطيئة، كما كانت تلك المرأة.

كان تأثير تلك الكلمات مباشراً على المرأة التي تغيّرت لهجتها فجأةً، وبدأت حوارًا لاهوتيًّا مع الربّ سائلةً إيّاه إذا كان أعظم من يعقوب الذي بنى البئر، فرأى الربّ أنّها لم تفهم قصده، عندئذٍ فسّر لها أنّ مَن يشرب من مائه لا يعود يعطش أبدًا، فطلبت منه فورًا أن يعطيها من ذلك الماء.

خلال الحديث أخبر الربّ المرأة بخطاياها، الأمر الذي فاجأها كثيرًا، إلى أن وصل الأمر بها إلى اعترافها بأنّها تعلم «أنّ مَسِيًّا، الذي يُقال له المسيح، يأتي، فمتى جاء ذاك يُخبرنا بكلّ شيء». ما يستوقفنا هنا أنّ السامريّة تقول:

«أنا أعلم أنّ مسيا، الذي يُقال له المسيح يأتي» (يو ٤: ٢٥). عند ذلك قال الربّ يسوع للمرأة: «أنا الذي أكلّمك هو». نحن أمام واحدة من عدّة مرّات يتكلّم فيها الربّ بطريقة واضحة يمكن أن يفهمها اليهود الذين يعرفون كتابهم. استخدم السيّد عبارة «أنا هو» نفسها الواردة في سفر الخروج (٣: ١٤)، ليُظهر أنّه والآب واحدٌ. لقد عرفت هذه المرأة من لقاء وحيد مع يسوع انه المسيح، المعلّم الحقيقي، على عكس يهوذا الذي عاش مع الرب لكنّه لم يشأ أن يفهم.

يخبرنا آباء الكنيسة أنّ ما حدث مع السامريّة يرشدنا إلى كيفيّة الحصول على الروح القدس، إذ يقول الآباء إنّ فوتيني نالت الروح القدس حقًّا. نجد في الكتاب المقدّس ولدى الآباء أنّ الروح القدس يشار إليه بالماء وأحيانًا بالنار، علامة التنقية والتطهير وجعل الإنسان حارًّا بالإيمان. هنا وضع الربّ يسوع نفسه في طريق امرأة عند البئر، مثلما يضع نفسه دائمًا في طريقنا، صنع ذلك لأنّه أراد أن يغفر خطاياها وأن يهبها ماء الحياة الذي هو الروح القدس، أي الخلاص.

كيف ينطبق هذا في حياتنا؟ لكي يحيا الروح القدس فينا، علينا أن نتغيّر. علينا ألّا نهرب أو نختبئ عندما يضع المسيح نفسه في طريقنا، الأمر الذي يحدث غالبًا. في المقابل، علينا أن نكون كالسامريّة شغوفين بالحصول على الروح القدس المتمثّل بالماء الحيّ. لقد وضع الربّ بين أيدينا الطريق إلى هذا التغيّر، أي سرّ التوبة والاعتراف، كما فعلت تلك السامريّة التي اعترفت بكلّ خطاياها عندما قابلت الإله الحقيقيّ الذي سمحت له بحريّتها الشخصيّة أن يدخل إلى أعماق قلبها منقياً داخلها ويجعلها بكليّتها هيكلًا حيًّا للروح القدس.

من أقوال الآباء

قال الأب ذولاس تلميذ الأب بيساريوس: كنا نسير ذات يوم على شاطئ البحر، فعطشت وقلت للأب بيساريوس: أنا عطشان جداً يا أبي. فلمّا صلّى الشيخ قال لي: اشرب من ماء البحر. فصار ماء البحر عذباً فشربت. ثم جعلت بعض الماء في وعائي تحسباً للعطش بعد حين. فلما رآني الشيخ أفعل هذا، قال لي: لماذا ملأت وعاءك ماء؟ فقلت له: سامحني يا أبت لأني فعلت هذا مخافة من الظمأ بعد حين. فقال الشيخ: الله هنا وفي كل مكان.

وذات يوم، لما احتاج صلّى إلى الله واجتاز النهر الذهبي ماشياً إلى الضفة الثانية. أمّا أنا فتعجبت وسجدت أمامه قائلاً: ماذا كنت تحس في قدميك وأنت تجتاز النهر؟ قال الشيخ: كنت أحس بالماء حتى كعبي، أمّا الباقي فكان ناشفاً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وقالتْ للناسِ* تعالَوا انظُروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي أثناءِ ذلك سألهُ تلاميذُه قائلينَ يا معلّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُل لستم تعرفونه انتم* فقال التلاميذُ فيما بينَهم ألعَلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أن أعمَلَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتمِمَ عملَهُ* ألستُم تقولون أنتم إنَّه يكونُ أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرح الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إنّي أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعَبوا أنتم فيه. فإنَّ آخرين تعبوا وأنتم دخلتم على تعبِهم* فآمَنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجلِ كلام المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ ان يُقيم عندهم. فمكثَ هناك يَوْمَيْنِ* فآمنَ جمعٌ أكثر من أولئِكَ جدًّا من أجلِ كلامهِ* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجلِ كلامِكِ نؤمنُ الآنَ. لأنَّنا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلّصُ العالم.